لأنهـــا مصرية

للأستاذ ثروت أباظه

أخلى الشتاء للصيف سبيله فأقبل هادئاً أول الأمر ، ولكنه حين تمكن من القوم أصلاهم ما تعودوا منه مبالغاً فى ذلك مفتناً فيه

ونفر القوم إلى حيث يهادن المصيف ، فازدحمت القطر التى تقصد الشواطىء ، وكأنما أبى الحر أن يتيح لهم متعة السفر فجعل من زحامهم عوناً له على إنجاح مهمته فى إقامة مشهد من مشاهد جهنم على الأرض .

لم أكن من هؤلاء السعداء قصاد الشواطىء فقنعت بيومين أقضيهما فى الريف . ولم يعرف السفر ذلك فأشركونى فى بلائهم فاشتركت مرغماً .

كان بالمقصورة ثمانية أشخاص بين رجال ونساء ، وكان لكل منهم صاحب سفر يهمس أحدهما للآخر بما يقطع به الطريق ويخفف القيظ .

وظننت أنا وصاحبى أن الأمر سيقتصر على الهمس ، ولكنه حين انجلت ضجة المحطة واستبد القطار بالطريق . . علا صوت ناعم بريطانة فرنسية ، فهمست إلى صاحبى :

— إنها تجيد الفرنسية إجادة أهلها لها ، واملها أن تكون هى نفسها فرنسية .

— أما قسماتها فلا تدل على ذلك ، ورفيق سفرها كما ترى يلبس طربوشاً ، وما أظنك ترى أنه هو الآخر فرنسى .

— ومتى عرفت أن المصرى لا يصاحب فرنسية ؟ وعلى أى حال إن تكن فرنسية فهى من طبقة مصرية راقية . .

— ولا هذا . . لأن الطبقة التى تمثلها لم تعد تباهى بتعلم الفرنسية كما تفعل صاحبتنا الآن . . وقد كان آنسات هاته الطبقة يباهين بتعلم هذه اللغة ليتصيدن بها الرجال . . أما اليوم وقد وجد أغنياء الحرب وتمكنوا من إدخال بناتهم حيث يتعلم الآنسات الراقيات — كما يردن أن يسمين أنفسهن — أما والأمر كذلك فلم تعد بالراقيات حاجة إلى إظهار علمهن باللغة الفرنسية ، فهى اليوم لا تدل على شىء . . وما أظن الآنسة إلا بنت ثرى حرب لم يكن ليتوقع لابنته أن تلوى لسانها فى فمها بلغة غير العربية . .

— والعربية الدارجة . . فحين حقق الله له شيئاً لم يكن لينتظره أطلق ابنته من عقالها فرحاً بها فخوراً . . وراحت بدورها تعلن على الملأ — كما ترى — أن أباها ... بائع الدجاج علمها فى فى « اللسيه فرنسيه » .

— لم أكن أتوقع كل هذا النقاش ، ولو كنت توقعته ما اقتحمته . . إذ أن صديق لا يقتنع أبداً مهما تبين له الحق ، وكان القيظ شديداً فآثرت السلامة ، وانحرفت بالحديث عن وجهته ، معتقداً أننى على حق ، ولاحظ هو ما قصدت إليه ، فآثر السلامة بدوره ، وانحرف معى بالحديث معتقداً أننى على باطل

وشاء القطار أن يقف فجأة . . محدثاً بذلك صوتاً عنيفاً ذعر له الرجال ذعراً أخفت رجولتهم معظمه . وظهر ما لم تطق الرجولة كبته على وجوههم ، أما النساء فقد أظهرن بكل ما يستطعن من القوة ذعرهن ، معتقدات أنهن كلما أمعن فى الذعر كان ذلك أدنى إلى الأنوثة ، ولكن واحدة منهن لم يخرج بها الذعر عن الأدب المنتظر من سيده . . أمار بيبة المدارس الفرنسية فماذا فعلت؟ لقد استنفد السيدات الجالسات كل المظاهر التى كان يمكن أن تلجأ إليها ، ولا يصح أن تقلد واحدة منهن .

وكيف يكون ذلك وهى ابنة الغنى ، صاحبة الرطانة الفرنسية الصافية الخالصة . . أهى بكل هذه الأمجاد تقلد سيدات مصريات لا يتكلمن الفرنسية ؟ . . لا ودون هذا كل شىء . . أطلقتها صرخة وأتبعتها بقولة ... ولكن الحظ خانها فخرجت الكلمة « بلدية » صريحة ، وقد أرادتها فرنسية صحيحة . . وخرجت ساقطة تشير إلى القفص الذى أثقل كاهل أبيها قبل أن تدخل المدارس الفرنسية .

— لحاها الله ! . . لقد أخجلتنى أمام صاحبى وقد كنت أدافع عنها وعن أصلها . .

نظر صاحبى إلىّ فى شماتة . ونظرت إلى السيدة فى احتقار وغيظ ، وشاركنى فى احتقارها كل من كان بالمقصورة . . وأحست هى بهذه النظرات فأدمت لضياع جهادها الطويل الذى بذلته فى سبيل احترامنا لها . . جهـــاد ساعة باللغة الفرنسية .